ومضات من قلب التغيير
المدن اليمنية تنهض من تحت الركام
الثورة
Sat . 18 Sep 2004 ..4/8/1425 - No (14556)
السبت ٤ شعبان ١٤٢٥هـ الموافق ١٨ سبتمبر ٢٠٠٤م العدد (١٤٥٥٦)

□ .. حجة المحلقة في فضاء من الدهشة والسحر .. تلك اللؤلؤة الفريدة.. بجمال موقعها ، وحصانة ولطافة هوائها ، كانت يوما ما تسبح في دياجير الظلم الإمامي ، وكانت شاهدة صدق على ذلك الطاعون الذي ابتلي به شعبنا ردحا من الزمن .. دعوها تروي لنا قصتها ..

شهدت مدينة حجة كغيرها من مدن اليمن وقراه حيف الإمامة وظلمها في أعتى درجاته ، وأقسى جبروته ووحشيته، ونالت من استبداد ذلك النظام وقهره ما ناله غيرها ، ولقي أهلها المعاناة مصبوبة في كؤوس ملأى بثالوث الإمام الرهيب (الجهل والخوف والمرض) ولا مجال هناك إلا لما يبثه نظام الإمامة من خزعبلات ، وما يصدره من اساطير عن معجزات الإمام وبركاته وقوته ، ولامجال هناك إلا للضلالة تشعل حرائقها بثقاب الجهل ، إلا للخوف والقمع والظلم والجوع..

استطلاع /علي ربيع

حجة.. تشربت الدمع والدم

◁ قصة الأحرار في (نافع) و(القاهرة) و(المنصورة) وتطاير الأعناق في ميدان (حورة)

صورة نادرة لسجن نافع

◁ مشاهد من حركات الخروج والتمرد وحروب العصابات ضد الطغيان الإمامي

◁ كانت حجة معقل الإمامة الحصين ونقطة الانقضاض على الثورات وبوابة انتصار الطغيان

– الشهيد احمد المطاع

– السلال

– العزي السنيدار

– احمد المروني

– جمال جميل

– الكبسي

– محيي الدين العنسي

● كانت حجة شاهدة بجميع جوارحها ، وتغلغل في فؤادها عميقا صوت المكلومين وأنين المظلومين ، وتشرب ثراها دمع المطحونين ودم الشهداء الأحرار قطرة قطرة ، حتى انفرجت أساريرها يوم السادس والعشرين من سبتمبر ، لتتلقف عطاء الثورة وعطاياها بلهفة المحروم وشوق العاشق وابتسامة الرضا والطمأنينة وهاكم هي القصة بحذافيرها:

● تذكر كتب التاريخ في عهد الإمام الناصر أحمد بن الهادي يحيى وتحديدا في عام «٣٠٣هـ» أنه بعث برسالة إلى أهالي حجة فقاموا بتمزيقها أمام الرسول متحدين بذلك الفعل كل ما يمكن أن يسفر عنه من نتائج.. وتقول كتب التاريخ أنه أحجم عن مواجهة المدينة تاركا ذلك للزمن.

– وفي عام «٥٩٤هـ» شن الإمام عبدالله بن حمزة «٥٨٣-٦١٤هـ» حملة عسكرية متذرعا بالانتقام لقبيلة بني بطين من قبيلة بني سام والكل من أبناء المحافظة ، وباءت تلك الحملة بالفشل ، وقد كانت حربا ضروسا كما تقول بعض المصادر.

– وفي عام «٥٩٥هـ» هزم الإمام عبدالله بن حمزة عند حصن حجة المنبع.

– وتصدى أبناء محافظة حجة في القرن الرابع عشر الهجري للجيش التركي معتمدين في ذلك على حروب العصابات المنظمة التي اقلقت الجيش التركي وعلمته دروسا لا زالت المصادر التاريخية شاهدة بذلك.

ضد الظلم

● هذه الروح الأبية ضد الطغيان والظلم ظلت ساكنة في ذرى جبال حجة الشاهقة ، وتواصلت حركات الخروج والتمرد ، ضد الإمامة ، ففي عام «١٣٣٧هـ» أعلن محسن شيبان الحرب على الإمام يحيى حميد الدين ، وتذكر بعض المصادر التاريخية أن الأمير يحيى بن ناصر شيبان اتفق مع الشيخ ناصر بن مبخوت الأحمر على إشعال ثورة من حجة تمتد فتغطي الشمال الغربي ثم تطبق على صنعاء فتجبر الإمام يحيى على الاعتزال وتقول المصادر أنه لنجاح العملية قرر شيبان والأحمر الاتصال بمن يثقون بهم كأبي منصر بثلا والسيد عبدالوهاب الحوري من مشائخ مسور حجة ومجموعة من مشائخ وأعيان حاشد كالشيخ محمد القديمي إلا أن الإمام اكتشف المخطط ، واشتعلت الحرب بين الطرفين إلى أن سيطر الإمام أحمد على مدينة حجة بجيش جرار ، واستبسل في المعركة الضروس شيبان والأحمر ولم يبق في أيديهم سوى قلعة حجة.

– في فترة تالية تشير بعض المصادر إلى زحف ناصر بن ناصر الأحمر بجيش عن طريق حبور حتى وصل حصن (نيسا) وهو حصن يقع إلى الشمال الشرقي من حجة ، وهناك تعرض له القاضي حمود حميد الذي سرعان ما قتل ، واحتل الشيخ ناصر الأحمر حصن (نيسا) ومكث فيه قرابة عام ، ثم ما لبث أن عاد ادراجه.

– هذه المؤشرات السابقة سقناها للتدليل على أن حجة كانت على امتداد تاريخ حكم الائمة مسرحا للتمردات والحركات ، ولأنها كذلك حاول الأئمة من بيت حميد الدين السيطرة المحكمة عليها وجعلها المعقل الأمين لحكمهم وجبروتهم وأسسوا فيها أعتى سجونهم ، وأحصن قصورهم، ولتكون فيما بعد المعقل الرهيب لأحرار اليمن وثواره، والثرى الذي وارى كثيرا من المناضلين والثوار الشهداء الذين لاقوا حتفهم هناك في سبيل الوطن والثورة ومقارعة ظلم الإمامة وطغيانها.

ثورة ١٩٤٨م

● لم تشهد المرحلة الممتدة من عام ١٩٤٢م ، حتى منتصف عام ١٩٤٤م أي عمل سياسي بارز في المدن اليمنية حيث مرت حركة المعارضة الوطنية بفترة سكون سياسي ، ولعل سبب ذلك كما يقول أحد الباحثين هو سياسة الحكومة الإمامية في مظهرها القمعي والاحتوائي في آن واحد ، وصعدت السلطات الإمامية موجة الإرهاب ضد المثقفين حتى جاءت حركة الأحرار اليمنيين وقتل الإمام يحيى ورئيس وزرائه في ١٩٤٨م، وحصل ما حصل من انتكاسة الحركة الدستورية التي قادها الأحرار حين فشلت كل محاولات الاصلاح السلمي واستقرار الرأي على التخلص من الإمام يحيى بدلا من انتظار وفاته بصورة طبيعية خاصة وقد كشفت المعارضة أوراقها حين اشيع قبل ذلك بفترة خبر مقتل الإمام يحيى ونشرت أوراق الدستور والحكومة الجديدة.

المهم أنه في فبراير عام ١٩٤٨م أعلنت الحكومة الدستورية إثر مبايعة الإمام عبدالله الوزير إماما لليمن ، واستتبت الأمور في صنعاء ، وكان الفرح العارم بهذه الثورة خصوصا في المدن، وفي نفس الوقت اخفقت الحركة في التخلص من ولي العهد أحمد الذي كان آنذاك في تعز، وكان له أن يتجه إلى حجة المعقل الحصين ليقود القبائل الموالية لإجهاض الثورة ودخول صنعاء.

مخاوف الاغتيال

● بالرغم من شيوع خبر مقتل الإمام يحيى الكاذب ، وبالرغم من أنه كان يستحث ابنه أحمد للقدوم من تعز للسيطرة على الوضع ، إلا أن الإمام أحمد كان كما تقول المصادر يستبطئ القدوم إلى صنعاء ، وكأنه يريد أن يتم مقتل أبيه من جهة ، ولكي يحتاط لنفسه من جهة أخرى، حتى إذا ما قتل أبوه وجدها فرصة سانحة للتشنيع على الاحرار بأنهم قتلة أبيه ، وليتخذ من ذلك مبررا للقتل والتنكيل واستعطاف الناس والقبائل ضد هؤلاء الثوار الاحرار.

وكان الإمام أحمد معه بلا شك أعوان وأنصار وأتباع واستصحب معه عساكر وضباطا واشخاصا عندما غادر تعز ، وحين توجه من الحديدة إلى حجة أمر هؤلاء بمواصلة السير إلى صنعاء وبعث معهم رسائل وتوجيهات إلى مؤيديه وأعوانه وأخوانه ، كما يقول أحمد الشامي في (رياح التغيير) فقد رسم خطته على أساس أن يتجنب أولا النجاة من أية محاولة وترتيب لاغتياله ، وأن يسحب معه أكثر عدد ممكن من الجيش النظامي بتعز حتى لايطارده أحد حين يغادرها وأن يوهم من في تعز ومن بصنعاء أنه متجه إليها، ثم كيفية التمكن من الوصول إلى حجة دون أن يتعرض لخطر القبض عليه أو اغتياله من قبل السيد هادي هيج في (منطقة الزيدية) وما وراءها من أرض حتى يصل إلى سوق الأمان بالقرب من حجة من الجهة الغربية ، ومن ثم الوصول إلى حجة.

وتذكر المصادر أن النقيب حسن الشايف كان قد كلف – عندما وصل نبأ اغتيال الإمام يحيى إلى تعز ورأوا أحمد بعد نفسه لمغادرتها – بأن يكمن مع بعض أصحابه في الطريق المؤدية إلى الحديدة بجانب قبة المعصور ، وفي حين نصب أحمد ابنه البدر نائبا عنه في تعز وعين السيدين محمد أحمد باشا وحسين الحوثي مساعدين له، ثم لبس زي عكفته وحرسة الخاص وركب في إحدى سياراتهم وترك سيارته المعروفة فارغة.

وتقول إحدى الروايات أن جماعة من شباب الحجرية كانوا قد دربوا في الحبشة وقد استعدوا بأسلحة فتاكة منذ حوالي شهر أو شهرين قبل الثورة ، وكانوا مختبئين في إحدى مزارع (القصيبات) خارج تعز ، منتظرين خبر وفاة الإمام يحيى لينقضوا على ولي العهد أحمد قبل أن يعلم ويباغتوه قبل أن يهرب، وغير ذلك روايات كثر كان الاحرار في سجون حجة يتناقلونها.

المهم كما تقول رواية الشامي أن الإمام أحمد أوهم السيد هادي هيج بأنه يرغب في مغادرة البلاد ليقضي بقية عمره في مكة ، وأنه ينتظر إذن الملك عبدالعزيز بالدخول هو ومن معه ، وأنه يرغب في الذهاب إلى حجة لأخذ بعض أوراقه وحاجياته وبعض اخوته ، ومن ثم يعود لمغادرة البلاد.

وبينما كان أحمد في طريقه إلى حجة رأى عصبة بأسلحتهم فسأل عنهم فقيل له: هذا حميد ابن الشيخ حسين بن ناصر مبخوت يطوف أموالهم فدعاه أحمد واستصحبه رهينة يضمن بها ولاء ابيه شيخ مشائخ حاشد، وحين وصل حجة وجدها قد رتبت من قبل نائبه السيد عبدالملك المتوكل ووكيله يحيى العجّا، ثم كتب كتابا إلى الشيخ حسين بن ناصر الأحمر يبلغه أن ولده لديه وأن عليه أن يحشد القوم لنصرته وغزو صنعاء.

وسقطت صنعاء في يدي أحمد بعد مرور أربعة اسابيع فقط من مقتل والده يحيى ، بعد أن اشتد الحصار عليها من الجهات من قبائل خولان وسنحان وبني بهلول وبلاد الروس وأنس وعنس والحدا وبني الحارث وبني حشيش وهمدان وبني مطر والحيمة ومن زحف من حاشد وحجور والاهنوم وعيال يزيد ، وبدأ مسلسل النهب والقتل واستباحة صنعاء بكل ما فيها وألقي القبض على الاحرار وسيقوا إلى سجون حجة الرهيبة فإلى هناك حيث نستأنف الحديث:

رحلات الاحرار

● حين تنطلق في سفرك إلى مدينة حجة الآن وتتقمص الرحلة المشؤومة لرجالات ثورة ١٩٤٨م إلى سجونها ، تعتريك ، ولاشك ، قشعريرة رهيبة، الطريق الوعرة، المنحدرات ، الجبال الشاهقة ، القيود والأغلال التي تضم بعضا إلى بعض ، الخوف، الجوع، البرد، إلى آخر ذلك من قسوة السجان وفظاظة العكفة ويختار من الطريق أشقها لقصد التعذيب، أولئك الذين خرجوا من سجن القلعة وسجن الرادع في صنعاء في سيارات تقلهم إلى نافع وقاهرة حجة والمنصورة، حيث الأغلال مثنى مثنى وثلاث ثلاث ورباع رباع.

الصفي محبوب، محمد السياغي ، الشيخ محسن هارون، عبدالسلام صبره، غالب الشرعي، العزي السنيدار، محمد الغفاري ، علي الشرعي ، علي عامر، محمد هاشم ، محمد عبدالله الزهيري، الشماحي ، حسين الكبسي، محمد حسن أبو راس ، أحمد الحورش ، أحمد الجرافي، أحمد البراق، محمد صالح المعمري، محمد أحمد المطاع، أحمد محمد الشامي، محيي الدين العنسي، عبدالوهاب نعمان، خيرة أبناء الوطن يقيدون كقطعان الماشية بمغاليق رهيبة وأغلال فظيعة ، ويدار بهم في صنعاء يسبون ويلعنون ويرجمون وهم في طريقهم إلى سجون حجة، يستقبلهم أهلها بزفة (جر عاق والديه ، جر عاصي والديه) وبمختلف الشتائم والبصاق والقاذورات ، أشعة الشمس المحرقة ، الغثيان والدوار في مساحة لا تتسع لطفل في داخل السيارة يزج باثنين او ثلاثة ، ويهبطون عقبة كحلان ، لايسمح لهم بالتبول ولا يستطيعون حراكا ، كنت أتخيل وأنا في تلك الطريق ما قرأت وسمعته عن رحلة العذاب تلك فازددت رعبا وحمدت الله أنني الآن في مقعد وثير في طريق معبدة وفي سيارة تطوي الأرض طيا.

توقفت في شرس بعد النزول من طريق كحلان وتأملت ذلك المكان وحدثت

الامام يحيى

من مجازر الطغاه